صحيفة نور المثاني التقته قبل وفاته بقليل وأجرت معه هذا الحوار:

رحل عالم اللغة االعربية البروفسيور عبد الله بريمة بصمت كما عاش بصمت

عاصر العقاد وشاركه أنسه وكان من أنجب تلاميذه

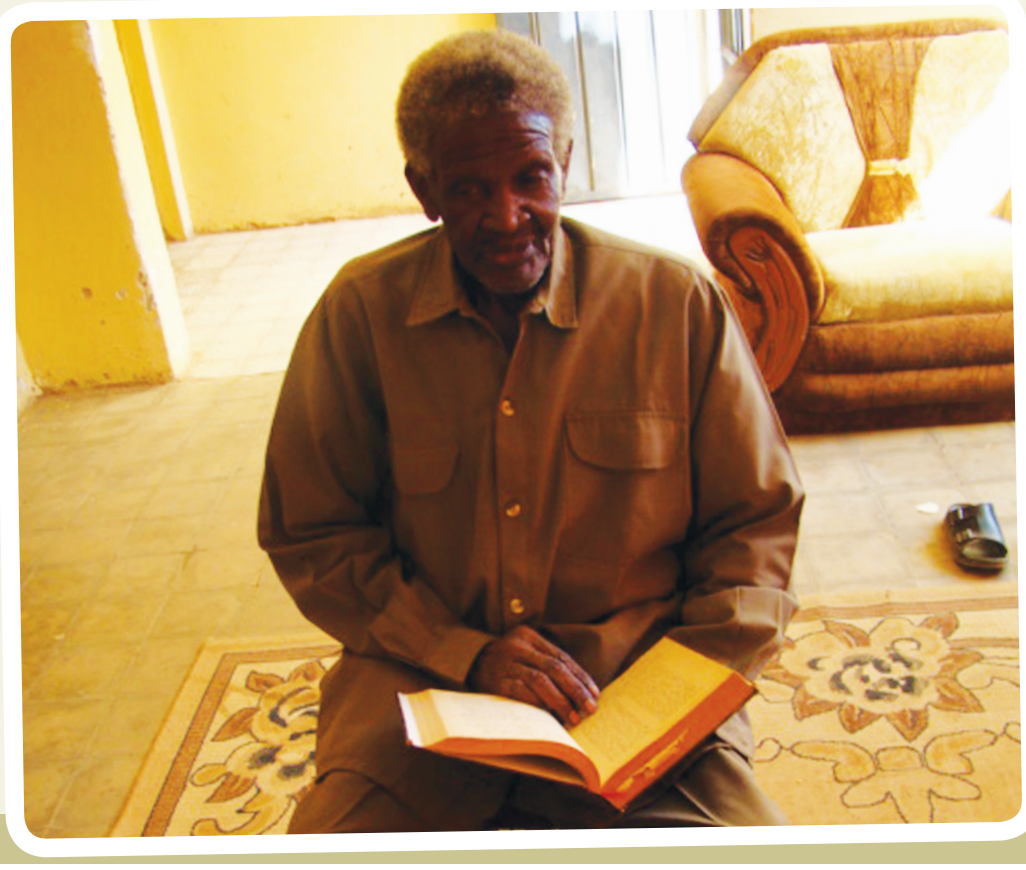

علم من أعلام السودان بل الوطن العربي عرف بصمته وغزارة علمه اشتهر خارجيًا وسكت الناس عنه داخليًا عاصر العقاد وشاركه أنسه وكان من أنجب تلاميذه وقيل إن العقاد لا يبدأ بالحديث إلا بوجوده متسائلاً بلهجة الإخوة المصريين (الود بريمة في) فيرد الحاضرون (في) فيقول العقاد نبدأ إذًا فقد كان أشهر جلساء العقاد في ندوته المشهورة كما أشرف ضيفنا على مئات الرسائل العلمية في مجالات اللغة العربية وآدابها تشهد له بذلك الجامعات السودانية أنجبته مدينة الفاشر الكبرى ودرس فيها مراحله الأولية وقد كان من أشهر الطلاب الذين قادوا المظاهرات لحرق العلم الإنجليزي وعندما اشتد عوده شد الرحال صوب قاهرة المعز حيث برع في علوم بنت عدنان مرافقًا للعقاد سنيين عددًا ضيفنا حافظ للقرآن زاهداً متصوفاً. رحل عنا كرسي النقد الأدبي بالجامعات السودانية بصمت كما عاش بصمت كان لصحيفة «نورالمثاني» معه هذا الحوار المصغر قبل رحيله بثلاثة أشهر في داره العامرة بالمهندسين فوجدناه كما هو متواضعًا تواضع العلماء متحدثاً بحسرة تارة وبفرح وسرور تارة أخرى ، فإلى مضابط هذا الحوار .

كان متواضعًا تواضع العلماء حافظاً للقرآن الكريم زاهدًا متصوفا

أجراه : حمدي

● متى كانت النشاة والمولد واين كانا ؟

أجاب بعد صمت ... أنا من مواليد مدينة الفاشر حيث درست وقرأت بها في الكتاتيب والخلاوى وكانت خلوة الشيخ محمد الفضل هي أول خلوة أدرس فيها القرآن وعلمه ثم انتقلت إلى خلوة الشيخ السنوسي ومنها إلى مجموع خلاوى حفظ القرآن بامتداد معهد الفاشر وكان ذلك فى خمسينيات القرن الماضي حينما كانت المعاهد تنشأ أهليًا ثم تطورت إداريًا وعند قيام معهد الفاشر على يد مولانا محمد أحمد سوار وأبنائه التحقت به تلميذًا والذي أتبع فيما بعد لوزارة الأوقاف ثم امتحنت للابتدائية ودخلتها ومن هنالك جاءت فكرة أن ألتحق بمعهد أم درمان العلمي حيث جئت متأخرًا ووجدت الأماكن قد امتلأت وعندها فكرت في التوجه إلى مصر للدراسة في الأزهر الشريف عام ١٩٦٠م حيث كان في ذلك الوقت منارة العلم والمعرفة في العالم الإسلامي

● مقاطعًا وهل وجدتَ سودانيين هناك امامك؟

نعم وجدتُ عددًا كبيرًا من السودانيين أمامي من أشهرهم يوسف حامد العالم وكان من طلاب كلية الشريعة رحمه الله وعبد الله الهادي والبشرى السيد وصالح آدم بيلو بكلية اللغة العربية كذلك حيث كانوا يساعدوننا في توفير كل ما نحتاجه وكان من طبيعة الأزهر عند قدوم طلاب جدد يقوم الطلاب القدامى باحتضانهم ورعايتهم وقد قاموا بهذا الأمر خير قيام

● فضيلة الأستاذ ثم ماذا بعد فترة الأزهر؟

في عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ وفقني المولى عز وجل في الحصول على شهادة اللسانس ثم انتقلت إلى كلية التربية في جامعة عين شمس وكانت تمنح تخصصات مختلفة . أضف إلى ذلك ابتعاث الطلاب إلى فرنسا وألمانيا لحملة الدراسات العليا بصورة غير منتظمة وقد كان شيخ الأزهر من الطلاب الذين زاملونا فى تلك الفترة .

● أين رست بك المركب بعد حصولك على اللسانس ودبلوم التربية ؟

منحت الليسانس ودبلوم مناهج التربية ، حيث كان الأزهر يمنح شهادة اللسانس وكان نظام الأزهر في ذلك الوقت هو وحدة المنهج في الفرقة الأولى ويبدأ التخصص من الفرقة الثانية كما كان متبعًا في جامعة القرآن الكريم في أول عهدها وقد تخصصت في اللغة العربية ومن ثم حضرت لشهادة الماجستير وقد كانت الأطروحة عن بناء المقالة والقصة القصيرة

● مقاطعًا ولماذا القصة القصيرة ؟

صاحب تلك الفترة بما يسمى بعصر النهضة للأدب وقد برز حينها عدد مقدر من الكتاب الروس والفرنسيين والأوربيين عمومًا حتى أنه كانت ترصد لهم جوائز تسمى عالمية بل ظهرت ألقاب الكتاب فأصبح هنالك مصطلح المؤلف العالمي وكانت جل تلك الكتابات تنطلق من فكر أيدولوجي يرسخ لمنهجيته وقد شهد العالم العربي في تلك الحقبة فراغًا في الكتاب المعبر عن الهوية الإسلامية لذا نجد ظهور عبقرية سيدنا محمد صلى الله وعليه وسلم

● مقاطعًا إذًا التقيت مع العقاد في الهدف نفسه والرؤية نفسها من خلال هذه الأطروحة؟

نعم فقد كانت الأطروحة تأصيلية بالمعنى الحديث للكلمة فقد حاولت إثبات القصة في حد ذاتها وعدم خروجها من اللغة العربية باعتبار أن القصة شيء كامل يبدأ به الإنسان فيجب أن يحسنها قبل أن يقدمها للآخرين

● هل القصة كانت وليدة الصراعه الذي كان موجودًا ام اتيت بها انت من الفاشر من حكاوى الحبوبات ام ان هنالك تاثيرًا لكي تختارها أنت رسالة للماجستير ؟

كانت القصة عندنا في درجة من البساطة لا تسمح بأن تضعها في معيار ولكن ممكن أن تكون وسط جماعتك بطريقة مقبولة وهذا طبعًا جيل بعد جيل ولما جئنا نحن لم نجد المجال خاليًا وقد كانت هناك عدد من الأطروحات التي كتبها كبار الكتاب حيث كانت هنالك جمعيات أدبية تدون في هذا المجال . وكان رواد تلك الجمعيات من جنسيات مختلفة تمثل العقلية العربية وانطلقت جلها من مصر .

● إلى أية جمعية انضممت وما الذي جعلك تنضم إليها ؟

إلى مدرسة العقاد ، في الفترة التي كنا في نهايتها فشلت ثورة عرابي حيث لم توجد ثقافة دينية مناهضة لتلك الثورة وهو الذي جعلني أرجع إلى هذه المدرسة .

الجمعيات الأدبية ؟ فيها مدرسة النادي فيها صلاح صبور وأحمد زكي وقد واجه التطور الذي دخل إلى البلاد العربية وحاول أن يقيس مستوى الثقافة في مصر وفي الغرب ، حيث كانت بداية الحداثة في العالم العربي ونهايتها في الغرب وكان قائد تيار الحداثة محمود أمين العالم وكان يسمى الطاغوت.

● من أين استنبط التيار الفكري لمدرسة العقاد ؟

من الفكر العربي الأصيل وبدأ بما بدأ به الأزهر الشريف من اللغة العربية والخلاوى حيث إنهم في ذلك الوقت لم يقولوا لأوليائهم إنهم بدؤوا لأنهم كانوا متربصين في الطرف الآخر لو قالوا إنا بدأنا بالناحية الدينية يمكن أن يشطبوهم ويقولوا هؤلاء رجعيون باعتبارهم جاؤوا ليحاربوا القديم بل العقاد يقول إنكم لم تفهموهم بعد ويقول نحن نريد أن نستحدث القديم .

هذا كان في بداية العهد لكن فيما بعد أظهرت كتب العقاد الانتنماء إليه .

● إذًا ماذا كان رد الفعل عندما تمكنت مدرسة العقاد من زمام المبادرة ؟

تمكنت صحيح وأمين العالم وجماعته بالذات كانوا يقدمون تجديدًا تحت ظل الاشتراكية أو الوجودية أو الحداثة في احتضارها .

● ما تاثير ت.س اليوت على الفكر العربى في الحداثة ؟

بماذا بل لا أجد له أثرًا ولك أن تنظر ماذا قال عنه الدكتور عبد الله الطيب وغيره ممن دخلوا المعركة بالقصيدة الشعرية العمودية ولكن للمتمعن يجد تاثرًا ابن القيس في ت.س أليوت .

● رسالة الدكتوراة ؟

تحدثت فيها عن تأثير المشددين في البلاد العربية لأن أتباع ت.س أليوت كانت ثقافتهم ضعيفة حتى أنك تلاحظ ضعفهم في وضع الحروف وقد وضعوها وكان خيرًا ألا توضع ، ولكن الكبار منهم كعبد العزيز العالم وعبد العزيز خميس فهؤلاء استطاعوا أن يلتقطوا من الحداثة في نهايتها ما يغطوا به ما فاتهم في الخمسينيات .

● مرت سنين وإلى الآن هل الحداثة تطورت أم في مكانها وهل المدرسة القديمة التي بشرتم بها اندثرت ام هي قائمة في تفوق ؟

نعم الحداثة قائمة في تطور وستظل قائمة لأن الإنسان لا يقف في مكان واحد .

● معظم كتاباتكم يا «بروف» وكتابات الجيل الذي جاء بعدكم هي كتابات في الحداثة بل إن الجيل الذي بعدكم كتب بالفكر نفسه والفهم نفسه وتشبعوا به ؟

لم يتشبعوا بالفكر بل بدؤوا يصححون تفسيرهم للفكر وهم شطار كذلك وفي الوقت نفسه أخذوا المصطلحات وبدؤوا بمعالجتها .

● حين اتيت راجعًا إلى السودان لماذا لم تات في الوقت الذي حددته بالتحديد ؟

لأن السودان مرّ بفترة ثقافية وبظروف شديدة مثل التي مرت بها مصر بل ثاروا عام ٥٦ وجاء عبد الناصر وكل الثائرين جاؤوا معه فآن لنا الأوان أن نتعرف على بلدنا أكثر حيث لم نأخذ كفايتنا من معرفتنا لها من قبل .

● هل اتيت برؤية جديدة ؟

كانت هجرتي إلى حد كبير خاسرة فيها بعض الأشياء لأن القضايا التي جئنا من أجلها كنا حريصين جدًا على معالجتها ، فقد كنا نوصي زملاءنا هنا ليجمعوا لنا ما كتب من هذه الفترة واستطاعوا إلى حد كبير في تجميع بعض الأشياء ، فلما أتينا لنتعرف على السودان ماذا حدث أو من أين نبدأ فقبل أن نكمل القراءة ... (وقف وضحك كثيرًا).

● كيف تم التحاقك بالجامعة ؟

وجدنا الشيخ أحمد عليه رحمة الله قائمًا بنشاط يهدف إلى إقامة جامعة القرآن الكريم حيث إنه مختلف عن القرآنيين عامة فجئنا ووجدنا معهد أم درمان العلمي وكلية القرآن الكريم وصادف أن مجيئه اختلف عن بقية الزملاء ، حيث إن عددًا من الزملاء انتهوا من دراستهم ورجعوا إلى السودان مباشرة أما أنا فبقيت وذلك حينما عدت إلى السودان وجدت الشيخ يوسف العالم فقال لي إن إدارة جامعة الإمام جاءت في جامعة الخرطوم فاذهب لهم ، فقدمت أوراقي فأخذوني فيها في القاهرة وقضيت فيها تسعة عشر عامًا ثم انتقلت بعدها إلى جامعة الإمام محمد سعود وقضيت بها ثمانية أعوام .

● من الذي دلاك على جامعة الملك سعود ؟

هو الشيخ يوسف العالم حيث إني لم ألتحق بعد بكلية القرآن الكريم .

● العودة إلى الخرطوم ؟

جئت إلى الجامعة بسبب أو بآخر ، أعلنت الجامعة أو معهد أم درمان العلمي في عام ١٩٩٠ م عن حاجتها لأساتذة فقدمت أوراقي فيها فقبلت وذلك في فترة سيد أمين القاضي.

● من الأساتذة الذين عاصرتهم في هذه الفترة؟

هم بلة وبشرى السيد ومنوفلي وعبد الله عبد الهادي والشيخ الطريفي وفضل المولى وحسن إمام .

● ماذا استفدت من الجامعة في فترة التدريس؟

ضحك كثيرًا ثم قال إذا لم تكن الاستفادة من الطرفين تبقى مصيبة ولا ينكر كل منا ما قدم للآخر ، وما قدمته لنا هو كثير قدمت لنا أناسًا هم البشر وما تتوقعه من البشر تجده هنا وكل ما يمكن ولكن قد يختلفون في بعضهم فوجدنا منهم من يستمع القول ويتبع أحسنه ، وهذا ليس سهلاً .

● آخر زيارة سجلتها لك الجامعة ؟

جاؤوا هنا وأكلنا وشربنا وتبادلنا الكلمات في هذين السنتين الماضيتين لكن مع ذلك تناقشنا في بعض الموازنات فمن أهم ما جاؤوا به كأنما يصلحون ذات البين وليس هناك دين ولكن كل ما هنالك أن الزمن الذي جاؤوا فيه كان قد انتهى بأحقية التدريس والتجديد لخمس سنوات لمن يستحق وقبلها جاء الإجباري وبلا شك دخلنا وخرجنا وخرجنا ودخلنا ولم نخرج بشيء وتفهمنا من بعض النقاشات أنهم يريدون بعض المعلومات نتركها للزمن وللندوات في مجال المناهج وبعد ذلك يمكن أن نتفاعل خيرًا .

● كلمة أخيرة ؟

أتفاءل خيرًا في الناس مهما يمشوا في خطوات متقدمة جادة وطالما الخيريون موجودون لإتاحة الفرص فعليهم أن يجتهدوا في اغتنامها . ومسألة أن الناس لم يجدوا فرصة فهذا شيء لا صحة له .